

الفرقان

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

لشيخ الإسلام ابن تيمية

٦٦١ - ٧٢٨ هـ

حققه وخرج أحاديثه

عبد القادر الأرناؤوط

الناشر

مكتبة دار البيان

ص.ب ٢٨٥٤ - دمشق

التوزيع

مكتبة المؤيد

ص.ب: ١٠ - الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هـادي له ، وأشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد ، فإن العـداء بين الإنسـان والشيطان قـديم ، بدأ من اللحـظة التي وجد فيها آدم عليه السلام ، حين أمر بالسجود لآدم فأبى وتكبر وعصى ، فجره كبرياؤه إلى سلسلة من الـذنـوب ، وجعله لا يـدخـر وسعـاً في إغـواء بني آدم ، وأن يـزين لهم المعـاصي حتى يقبلوا عليها راغبـين ، فأنـزل الله تعالى من أجـل ذلك الكتب ،وأرسل الـرسل ، وتعهـد عباده بـالوصـايا ليخلصهم من شـره ، ورغم نصـائحـه المتكـررة ، ووصاياه البليغة ، وتحذيـره الشديـد ، فقد انقسم النـاس إلى فريقـين (فريقـاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة) وإلى فريق في الجنة ، وفريق في السعير . ففريق الجنة هم أولياء الرحمن (لهم البشرى في الحياة الـدنيا وفي الآخـرة) ، وفريق السعـير هم أولياء الشيطان ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ .

وفي هذا الكتاب الذي نقدمه للناس في وقت تسلط فيـه الشيطان عـلى أكثر بني الإنسان ، وضاعت فيه الفوارق بـين أولياء الـرحمن وأولياء الشيـطان، بين فيـه مؤلفه رحمـه الله تعالى : أن لله تعـالى أوليـاء من النـاس ، وللشيـطان أوليـاء منهم ، وسـاق الآيات التي تشهد بذلك ، ثم ذكر الفرق بـين أولياء الـرحمن وأولياء الشيـطان : وبين أن أولياء الله تعالى هم المؤمنـون المتقون ،وأن أفضـل أولياء الله هم الانبيـاء ، وأفضل

الأنبياء المرسلون ، وأفضل المرسلين أولو العزم ، وأفضل أولي العزم سيد ولد آدم محمد ﷺ . وبين أن الناس متفاضلون في ولاية الله بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى .

ثم بين أن أولياءه على طبقتين ،سابقون مقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ، وأنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد ، ولا يمكن أن يكون أحد من الكفار والمنافقين ولياً لله لانعدام الإيمان والتقوى ، وكذلك المجنون لا يكون ولياً لله . وأن من يظهر الولاية ولا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم لا يكون ولياً لله ، ولو ظهر على يديه خوارق العادات ، فإن الشيطان يعينه على ذلك ، وأن أولياء الله لا يتميزون بلباس خاص ، ولا يقتصرون على جماعة معينة ، بل يوجدون في جميع أصناف الأمة ، ثم تكلم عن الصوفية وأصلها ، وأنكر على الذين يلوذون بالصمت الدائم ويعتذرون عن أكل الطيبات ، وساق لهم من الأحاديث ما فيه الكفاية . وذكر أنه ليس من شرط الولي أن يكون معصوماً ، بل يجوز أن يخطىء ، ولهذا لا تحسب طاعته في كل ما يأمر ، بل يعرض أمره على الكتاب والسنة ، فما وافقهما قبل ، وما خالفهما رد .

ولا يجوز للولي أن يعمل بما يُلقى في قلبه إلا بعد عرضه على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ ، وأن هذا من أهم الفروق بين الأنبياء وغيرهم .

وذكر في هذا الكتاب معنى الحقيقة والشريعة ، وأن الحقيقة هي دين الله تعالى الذي ألزم به الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ، وأن دين الله هو الإسلام ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

له ، ومن ثم فدين الأنبياء واحد (وهو التوحيد) وشرائعهم مختلفة ، وأن الاتفاق انعقد على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وأن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، وأن القرن الأول أفضل القرون ، والسابقون منهم أفضل الصحابة ، ونبينا محمد أفضل الأنبياء عليهم السلام ، وأتباعه ليسوا محتاجين إلى غيره من النبوات المتقدمة كما احتاج غيرهم من بقية الأمم ، وان من ادعى أن الولاية أفضل من النبوة فهو كافر . ثم رد على من حكَّم العقل وقدمه على الشريعة ،وبين أن حديث « اول ما

خلق الله العقل » الذي يستشهدون به في هـذا غير صحيـح ، وكذلـك رد على فكـرة وحدة الوجود وعلى القائلين بالاتحاد والحلول ، وأن ذلك كفر ، وبين أن كشف الأنبياء أعظم من كشف غيرهم ، وأن النبوة قد انقطعت فلا نبوة بعد محمد ﷺ ، ولا رسالـة بعد رسالته ، وأن العصية مخالفة الأمر لا مخالفة الارادة ، كما يزعم بعض الجاحدين .

وتحدث عن معنى معية الله تعـالى في القرآن ، وأنها تكـون معية علم ، أو معيـة نصر ، على حسب ورود النص .

وأجمل في الكتاب عقيدة السلف الصالـح، وبين أن الله تعـالى بائن من خلقـه، يـوصف بما وصف بـه نفسه ، وبمـا وصفه بـه رسـول الله ﷺ ، من غـير تحـريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأنه المذهب الأسلم والأحكم ، وأن السلامة كلهـا في اعتناق عقيـدة السلف ، وان أبلغ العلم أن يعرف الانسان قدره فلا يتجاوزه ، وبين أن مـا في الوجـود بقضاء الله تعـالى وقدره ، وارادتـه وقدرتـه ، وأنه تعـالى أمر بـطاعته وطـاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، ورد عـلى من زعم أن القدر حجـة لأهل الـذنوب، وأمـاط اللثام عنـه وكشف النقاب عن معناه ، وبين معنى الشرع ، وأنـه قد يراد به مـاأنزل من عنـد الله تعالى ، وهو الكتاب والسنـة المفسرة لـه ، وقد يـراد بالشـرع حكم الحاكم وقضـاء القاضي ، ويمكن أن يخطىء الحاكم ويصيب . وقد يراد بالشرع أيضاً قول أئمة الفقه ، كـالائمة الأربعـة والأوزاعي والليث وداود وغيرهم ، ويحتـج لأقوالهم بـالكتاب والسنـة، وأنـه ينبغي أن نفرق بين الشرع المنزل والشرع المؤول والمبدل .

وتكلم أيضـاً عن كرامـات الأولياء ، وأنـه تكون لحـاجة في الـدين ، أو لحاجـة بالمسلمين ، ولا تحصل إلا باتباع الرسـول ﷺ ، وهي داخلة في معجزات رسـول الله ﷺ : واستـطرد طرفـاً من معجزات رسـول الله ﷺ ، وطرفـاً من كرامـات أصحـابـه والتـابعين لهم ، وبـين تلبيس الشيـاطـين عـلى أعـوانهم ، وأنهم يـأتـون من الغـرائب مـا يوحي إلى النـاس أنهم أولياء الله ، ومـا كانـوا أولياءه ﴿ إن أوليـاؤه إلا المتقون ﴾ فجزاه الله تعالى خيراً ، فقد أجاد وأفاد .

عملنا في الكتاب

لقد قمنا بضبط النص ، وتفصيله ، وتصحيحه على النسخ المطبوعة ، وشكل الآيات القرآنية وترقيمها ، وتخريج الأحاديث والرجوع فيها إلى المصادر التي نقل عنها المؤلف رحمه الله تعالى ، وبيان صحيحها من ضعيفها والتوسع فيها لمن أراد أن يرجع ويتأكد . ووضعنا فهرساً للأحاديث النبوية على الحروف الهجائية تسهيلاً للقارىء الكريم .

ونسأل الله تعالى أن يثيبنا على ذلك .

١ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ

خادم السنة النبوية
عبد القادر الأرناؤوط



ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية

هو الإمام الحافظ الفقيه المحدث ، ناصر السنة وقامع البدعة، شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي .

إنه سليل أسرة كريمة، اشتغل أبناؤها بالعلم حتى عرفوا به، وبرزوا فيه .

فأبوه عبد الحليم بن عبد السلام، شهاب الدين نزيل دمشق، ولد بحرَّان[١] سنة (٦٢٧) هـ ، وسمع من أبيه عبد السلام وكثيرين غيره . قرأ المذهب الحنبلي على أبيه حتى أتقنه ، ودرَّس وأفتى وصنف . وكان إماماً محققاً، كثير الفنون، دَيِّناً متواضعاً، حسن الأخلاق ، كما كان جواداً من حسنات العصر، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة (٦٨٢) هـ .

وأما جده عبد السلام بن عبد الله الفقيه الحنبلي، الإمام المحدث المفسر الأصولي النحوي ، وأحد الحفاظ الأعلام المشهورين، وقد ألين له الفقه كما ألين لداود الحديد، وهو صاحب كتاب« منتقى الأخبار» الذي شرحه الشوكاني إمام القطر

---

(١) حَرَّان : بلدة شمال شرقي تركيا، كانت من أهم مراكز الديانات القديمة، وهي الآن عامرة بعد الخراب الذي أصابها عند احتلال التتار لها أيام رحيل آل ابن تيمية عنها، وهي غير «حرّان العواميد» التي في غوطة دمشق الشرقية ، وكانت تسمى «حران المرج». ومن قال: ان شيخ الإسلام ابن تيمية من حران العواميد، فقد أخطأ ، والنسبة إلى حران : حرناني، وإنما اشتهر بالحراني .

اليماني، وسماه «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار». ولد بحران سنة (٥٩٠) هـ تقريباً ، ورحل إلى بغداد، وأقام بها عدة سنوات، يشتغل بأنواع العلوم، ثم رجع إلى حرّان ، وتوفي بها سنة (٦٥٢) هـ .

وإذا تركنا أباه وجده نجد آخرين كثيرين مشهورين من أعضاء هذه الأسرة الكريمة المشهورة بالعلم والعلماء، وصدق الله عز وجل إذ يقول في كتابه الكريم ﴿ وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف : ٥٨] .

وإنما سمي كل من هؤلاء العلماء في هذه الأسرة : ابن تيمية، لأن جدهم محمد ابن الخضرحج على درب «تيماء»، فرأى فيها طفلة جميلة ، فلما رجع إلى دمشق وجد امرأته قد ولدت بنتاً : فقال: يا تيمية، يا تيمية ، تشبيهاً لبنته بها، فأطلق على أبنائها : ابن تيمية . وقيل : إن جده محمد بن الخضر، كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها .

وأشهر أبناء ابن تيمية: هو صاحب الترجمة الحفيد: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ولد بحرّان يوم الاثنين في العاشر من ربيع الأول سنة (٦٦١) هـ ، وأنبته الله نباتاً حسناً، فعاش بضع سنين في كنف أبيه وتحت رعايته، ثم انتقل أبوه به وبأسرته إلى دمشق سنة (٦٦٧) هـ عند قدوم التتار إلى الشام، وكان قد بلغ السادسة من عمره .

وفي دمشق الشام المحروسة نشأ أحمد بن تيمية وترعرع ، ثم درس ونضج حتى بلغ أشده، وآتاه الله تعالى العلم والحكمة، وصار أحد الأئمة الأعلام ، ومن كبار شيوخ الإسلام ، الذين خلدوا على الزمن بفضل ما قاموا به من جلائل الأعمال، وما خلفوه لنا من عظيم الآثار .

ولا عجب أن ينبغ الفتى ابن تيمية، فقد وفر الله العليم الحكيم له عوامل النبوغ ومؤهلاته: وراثة طيبة، عميقة الجذور، بعيدة الأصول، سامقة الفروع، وبيئة علمية أوفت على الغاية، وقوى علمية بلغت حد العجب والإعجاب، وتوفيق من الله

تعالى، وبركة في الوقت، حتى صار فريد عصره ، ووحيد دهره، وإمام زمانه .

حفظ القرآن وهو حدث، ثم أخذ في الدرس وطلب العلم، وأقبل على الفقه والعربية، وبرع في النحو، ثم أقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى سبق فيه، وأحكم أصول الفقه، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنين، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه .

ونشأ في زهد تام وعفاف وتعبُّد، واقتصاد في الملبس والمأكل ، أفتى وله أقل من تسع عشرة سَنة، وشرع في الجمع والتأليف .

وكان له خبرة تامة بالرجال رواة الحديث وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، والصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتون الحديث، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه، وعزوه إلى الكتب الستة في الحديث ، ومسند أحمد بن حنبل .

وله في استحضار الآيات القرآنية للاستدلال بها قوة عجيبة. وكان يكتب في اليوم والليلة من التفسير والفقه وأصول الدين نحواً من أربعة كراريس .

شيوخه :

سمع الحديث من ابن الدائم، وابن أبي اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي، ومجد الدين بن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنجيب المقداد، وابن أبي الخير، وابن علان، وأبي بكر الهروي، والكمال عبد الرحيم، والفخر علي، وابن شيبان، والشرف ابن القواس، وخلق كثير، وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ .

تلاميذه :

لقد تلقى عن المؤلف رحمه الله تعالى كثير من العلماء المشهورين المشهود لهم

بالفضل، منهم من هو أكبر منه سناً، ومنهم من هو أقرانه، ومنهم من هو أصغر منه سناً .

وممن لازمه وأخذ عنه الإمام شمس الدين أو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ، المشهور بـ «ابن قيم الجوزية» صاحب المؤلفات المفيدة، وقد لازمه ملازمة تامة، وقد توفي رحمه الله سنة (٧٥١) هـ ودفن بالباب الصغير بدمشق .

ومنهم الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي الصالحي، وقد لازمه مدة، وله مؤلفات نافعة، توفي في سن الأربعين رحمه الله سنة (٧٤٤) هـ ، ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق، وهو صاحب« العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية» .

ومنهم الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار الأزجي الحنبلي البغدادي، صاحب كتاب« الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ». ولد ببغداد، ثم رحل إلى دمشق، فقرأ على علمائها، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي رحمه الله عند توجهه إلى الحج، يوم الثلاثاء **٢١** من ذي القعدة سنة (٧٤٩) هـ في حاجر بالطاعون العام الذي أفنى الكثير من الناس .

وممن سمع منه وأجازه الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن عثمان بن قايماز الذهبي الدمشقي ، له المؤلفات المفيدة، والمختصرات الحسنة، والمصنفات السديدة، منها «تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء» و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال» وغيرها كثير. توفي رحمه الله سنة (٧٤٨) هـ ودفن بالباب الصغير بدمشق .

والحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري، قرأ على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ومدرك غاية المفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني بالقاهرة، عندما قدم عليهم، وقد توفي رحمه الله بالقاهرة سنة (٧٣٤) هـ .

والحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي، أحد محدثي الشام الكبار، المتوفى بـ «خليص» بين الحرمين ، محرماً في طريقه الى الحج سنة (٧٣٩) هـ .

والحافظ أبو الحجاج يوسف بن الزكي، استاذ أئمة الجرح والتعديل، شيخ المحدثين، صاحب كتاب« تهذيب الكمال في أسماء الرجال» توفي رحمه الله سنة (٧٤٢) هـ ودفن بمقبرة الصوفية جوار قبر شيخ الاسلام ابن تيمية .

أقوال العلماء فيه :

قال كمال الدين ابن الزملكاني المتوفى سنة (٧٢٧) هـ : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء في سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك . وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين .

وقال الحافظ المزي المتوفي سنة (٧٤٢) هـ : ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

وقال الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري المتوفى سنة (٦٧١) هـ : ألفيت شيخ الإسلام ابن تيمية ممن أدرك من العلوم حظاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته . برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه، كان يتكلم في التفسير، فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويروون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير .

وقال الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي المتوفى سنة (٧٣٨) هـ : هو الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه ، **قرأ الفقه** وبرع فيه ، والعربية والأصول، ومهر

في علمي التفسير والحديث ، وكان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه ، وحسن ايراده ، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى، والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى .

وقال الحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) هـ : كان شيخ الإسلام آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف. بحراً في النقليات. هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاءً ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين. وقل أن يتكلم في مسألة إلّا ويذكر فيها مذاهب الأربعة ، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنف فيها واحتج بالكتاب والسنة ١٠ هـ .

وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجىً في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحراً لا تكدِّره الدلاء، وحَبْراً يقتدي به الأخيار الألبَّاء، طنَّت بذكره الأمصار، وضَنَّتْ بمثله الأعصار .

وكان إماماً من أئمة المسلمين، ومجدداً في عصره هٰذا الدين. أمثال العز بن عبد السلام المتوفى سنة(٦٦٠)هـ والإمام النووي المتوفى سنة (٦٧٦) هـ .وكانت لهم مهابة ومواقف مشهودة رحمهم الله تعالى .

عقيدته ومذهبه :

هي عقيدة السلف الصالح التي تلقوها عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين لهم بإحسان، وهي العقيدة السليمة والطريقة المستقيمة، التي ينبغي على كل مسلم أن يسلك سبيلها ، وأن يسير على منهاجها، وهي أسلم وأحكم بلا شك ولا ريب، وهي العقيدة، التي كان عليها إمام مذهبه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ومذهبه في صفات الله عز وجل الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه،

وبما وصفه به رسوله، وإجراؤها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فمتى ورد النص في الكتاب والسنة الصحيحة باثبات صفة أو نفيها، فلا يجوز لأحد العدول عنه إلى قياس أو رأي . والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذي فيه حذوه ، ويتبع مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف .

وكان رحمه الله تعالى يرى بطلان التحيل على الأحكام الثابتة شرعاً إلى أحكام أخر بفعل صحيح في الظاهر لغو في الباطن ، كما هو مذهب جمهور الأئمة. وقد ردَّ على حجج من جوَّزها ، واستند في ذلك إلى حجج من المنقول عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والأئمة .

دعوته :

كانت دعوته إلى الأخذ بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، والاعتصام بهما، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح، وطرح ما يخالفهما، وتجديد ما درس من معالم الدين الصحيح، وتنقيته مما ابتدعه الناس من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السالفة، قرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى، وتحذير المسلمين مما تسرب إلى الفكر الاسلامي من خرافات التصوف، ومنطق اليونان، وزهد الهند .

اختياراته الفقهية :

إن الشيخ رحمه الله تعالى بعد رجوعه من مصر إلى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً للاشتغال ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة ، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية .

ومن اختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة،أو خالف المشهور من أقوالهم:

١ ـ القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً ، طويلاً كان أو قصيراً ، كما

هو مذهب الظاهرية ، وقول بعض الصحابة .

٢ ـ القول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل ، فبان نهاراً ، لا قضاء عليه ، كما ورد عن عمر رضي الله عنه ، وإليه ذهب بعض التابعين ، وبعض الفقهاء بعدهم .

٣ ـ القول بأن تارك الصلاة عمداً لا قضاء عليه ، ولا يشرع له القضاء ، بل عليه الإكثار من النوافل رجاءَ غفران الله تعالى له ، كما هو مذهب ابن حزم الأندلسي من أهل الظاهر .

٤ ـ ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها محن وقلاقل قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق المعلَّق على شرط إذا كان لا يقصد بذلك إلا الحض أو المنع . وقوله : إن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة ، كما كان عليه العمل في زمن رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما .

وله في ذلك مصنفات كثيرة ، وله اختيارات غيرها .

شجاعته وإقدامه :

أما شجاعته فبها تضرب الأمثال ، وببعضها يتشبه أكابر الرجال ، وكان الأمراء يتعجبون من إقدامه وجرأته على المغول ، وما فعله الشيخ في توبة غازان ملك التتار من جميع أنواع الجهاد ، وسائر أنواع الخير ، وإنفاق الأموال ، وإطعام الطعام ، ودفن الموتى ، وغير ذلك ، معروف ومشهور .

وفي سنة (٧٠٢) هـ كانت وقعة «شقحب» قرب الكسوة من جنوب دمشق التي خاضها بنفسه ، وشجَّع المسلمين فيها ، وقاتل هو وجماعة من أصحابه ، وانتهت بنصر الله المسلمين نصراً مؤزَّراً . وقتل فيها من التتار خلق كثير ، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

مصنفاته :

له رحمه الله تعالى نحو (٥٠٠) مصنف ، ما بين كبير وصغير ، منها «الفرقان بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» و«الفرقان بين الحق والباطل» و«اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» و«التوسل والوسيلة» و«تفسير سورة النور» و«السياسة الشرعية» و«الكلم الطيب» و«تفسير سورة الاخلاص» و«جواب أهل العلم والإيمان» و«شرح حديث أبي ذر» و«الحسبة في الاسلام» و«العبودية» و«الواسطة بين الحق والخلق»(*) و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام» و«الوصية الصغرى» و«الوصية الكبرى» و«الفتاوى» و«كتاب الإيمان» و«شرح حديث النزول» و«الصارم المسلول على شاتم الرسول» و«الرسالة التدمرية» و«العقيدة الواسطية» و«شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» و«منهاج السنة النبوية» و«كتاب الاستقامة» و « الرد على المنطقيين» وغيرها .

وله وصايا ورسائل كثيرة واجازات .

هذا وقد طبع كتاب« مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض بـ (٣٧) مجلداً جمعوا فيه فتاوى الشيخ وما استطاعوا من مؤلفاته التي كانت مفقودة، وقد استخرجوا اكثرها من كتاب «الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري» لابن عروة الحنبلي رحمه الله تعالى المتوفى سنة (٨٣٧).

لقد حصلت له محن كثيرة في بلاد الشام ومصر، لأنه رحمه الله تعالى كان شديد الإنكار على المخالفات، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وهذه الأسباب هي التي جلبت له خصومات كثيرة من معاصريه، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله منها، على أن خصومه لم يتركوه هادئاً، واستعدوا عليه ذوي السلطان متخذين عقيدته والطعن فيها لذلك سبباً يتذرّعون به للنيل منه .

ففي سنة (٧٠٥) هـ امتحن بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان، فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ وسأله عن ذلك، فبعث الشيخ من أحضر من

(*) وقد خرجت أحاديث هذه الكتب وعلقت عليها. وهي من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق، وأرجو الله عز وجل أن يوفقني لتخريج باقيها .

داره «العقيدة الواسطية» فقرؤوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك ، على أن هذه عقيدة سنية سلفية .

وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار الكبار، وسائر العامة تحبه ، لأنه كان منتصباً لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه .

ثم قامت طائفة ـ من الذين كانوا يموِّهون على الناس بما يزعمون من كرامات، وأنهم يدخلون النار ولا تمسهم بأذى وطلبت هذه الطائفة من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف عنهم وأن يتركهم وحالهم، فقال الشيخ رحمه الله تعالى: لا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد أن يدخل النار منهم فليدخل أولاً الحمام ويغسل جسده جيداً، ثم يدخل النار بعد ذلك إن كان صادقاً، فابتدر شيخ منهم وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتار، وليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد .

ثم ورد كتاب إلى دمشق من السلطان بحمل ابن تيمية إلى القاهرة للكشف عما كان منه. فلما قرر السفر إلى مصر ازدحم الناس لوداعه ورؤيته، ولما وصل إلى القاهرة، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة، جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة، وأراد الشيخ أن يتكلم، فلم يمكَّن من البحث والكلام على عادته، وحبس في برج أياماً، ثم نقل إلى الحبس المعروف بـ «الجب» هو وأخواه : شرف الدين وزين الدين .

وفي سنة سبع وسبعمائة أخرجه من السجن الأمير حسام الدين مهنا، واجتمع به العلماء عدة مرات، وبحثوا معه، وانفض المجلس على خير، ثم إنه اختلف مع بعض المبتدعة، فطلبوا نقله إلى الاسكندرية، وظنوا أن قلوب أهلها عن محبته عريَّة، وأرادوا أن يبعد عنهم خبره ، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره، فأرسل به إلى ثغر الاسكندرية، وسجن فيه إلى أن دخل السلطان الناصر مصر، فأخرج الشيخ من سجنه، واجتمع بالسلطان ، وأكرمه ـ وكان سجنه في مدة ملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ـ فأراد السلطان الناصر أن ينتقم من الذين شنعوا على ابن تيمية،

فأخذ الشيخ ابن تيمية يمدحهم ويثني عليهم، ويشكرهم ويقول للسلطان: لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، وقال: أما أنا فهم في حِلٍّ من حقي وجهتي، وسكن ما عند السلطان من الغضب، ولقد قال القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية: ما رأينا مثل ابن تيمية، لم نترك ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا .

ثم إن الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد اجتماعه بالسلطان الملك الناصر نزل إلى القاهرة، وعاد الى بث العلم ونشره، والخلق يستمعون منه ويقرؤون ويترددون عليه، ويعتذرون إليه، وهو يقول لهم: قد جعلت الكل في حِلٍّ مما جرى .

ثم في مصر قام جماعة فتعصبوا على الشيخ، وتفردوا به، وضربوه، وطلب منه الجند أن يدلهم عليهم ليعاقبوهم، فجعلهم في حل وسامحهم . وآذاه غيرهم، وأساؤ وا معه الأدب، وهو في كل ذلك يقول: لا أريد أن أنتصر لنفسي، وإنما أنتصر لشرع الله عز وجل .

ثم إنه توجه بعد ذلك إلى الشام صحبة الجيش المصري قاصداً الغُزاة، فلما وصل إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس ومنه إلى دمشق، ووصل إلى دمشق سنة (٧١٢) هـ، ومعه اخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسرّوا سروراً عظيماً بمقدمه وسلامته وعافيته، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع، وقد توفي في أثناء غيبته عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم .

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بعد وصوله من مصر الى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازماً للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة ونفع الخلق والإحسان إليهم والاجتهاد في الأحكام الشرعية فعاوده في الإفتاء بمسألة الطلاق وعاتبوه وحبسوه في قلعة دمشق، وبقي خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم صدر مرسوم السلطان بإخراجه، فأخرج سنة (٧٢١) هـ، ثم لم يزل يعلم الناس ويفتيهم إلى أن تكلم في مسألة شد الرحال وزيارة قبور الصالحين، وحرّفوا عليه ونقلوا عنه ما لم يقل، واجتمعوا عليه وقرروا أن يردُّوه مرة أخرى إلى القلعة فحبسوه بها، وأوذي

جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعزِّز جماعة، ونودي عليهم، ثم أطلقوا سوى تلميذه الملازم له ابن قيم الجوزية، فإنه حبس بالقلعة وسكنت القضية .

ثم انهم حركوا على الشيخ بأنه يفتي بعدم شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وكثر الكلام وعظمت الفتنة، وطلب القضاة بها، فاجتمعوا وتكلموا، وأشار بعضهم بحبس الشيخ، فسجن سنة ست وعشرين وسبعمائة .

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بقي مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً إلى أن توفي رحمه الله تعالى. وفي هذه المدة كان يكتب العلم ويصنف، ويرسل الرسائل إلى أصحابه، ويذكر ما فتح الله عليه من العلوم العظيمة والأحوال الجسيمة، وكان يقول: فتح الله عليَّ في هذا الحصن من معاني القرآن ومن أصول العلم أشياء، وندمت على تضييع أوقاتي في غير معاني القرآن، ثم منع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق ، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة وذكر الله عز وجل .

وكان يقول: أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة .

وكان يقول في الحبس وهو ساجد: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ويقول: المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه .

وكان يقرأ في كل يوم ثلاثة أجزاء من القرآن، وفي كل عشرة أيام يقرأ ختمة، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو أحداً وثمانين ختمة .

ثم مرض أياماً في القلعة، وكانت مدة مرضه بضعاً وعشرين يوماً، وأكثر الناس ما علموا بمرضه ، فلم يفجأ الخلق إلا نعيه ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن .

وكان آخر ما قرأ من القرآن: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر : ٥٤ ـ ٥٥] ، وكان ذلك ليلة الاثنين في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨) هـ رحمه الله تعالى .

ودخل أقاربه وأصحابه القلعة، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق، وغسلت جنازته، ثم أخرج وقد اجتمع الناس في القلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة وباب البريد، وبقية أبواب المسجد، وحضرت الجنازة، وصلي عليه بالقلعة، ثم صلي عليه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر، وحمل من باب البريد إلى مقبرة الصوفية، ودفن إلى جانب أخيه شرف الدين، وكان دفنه وقت صلاة العصر أو قبلها بيسير، وأغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

رحم الله تعالى ابن تيمية رحمة واسعة، وأجزل ثوابه، جزاء ما قدَّم للدين والعلم والأمة من خير، وجعله الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

خادم السنّة النبوية
عبد القادر الأرناؤوط